

من غيورغ لوكاش إلى أكسل هونيث

نحو إعادة بناء مفهوم التشيؤ

د. كمال بو منير

قسم الفلسفة، جامعة الجزائر ٢

مدخل،

من القرن الماضي لدى روادها الأوائل (ماكس هوركهايمر Max Horkheimer، ثيودور أدورنو Theodor Adorno، هربرت ماركوز Herbert Marcuse) أو لدى روادها الحاليين (يورغن هابرماس Jürgen Habermas، ألبيرشت فيلمر Albrecht Wellmer، أوسكار نيغت Oscar Negt أكسل هونيث Axel Honneth). لقد استند رواد مدرسة فرانكفورت في المرحلة الأولى من تأسيس النظرية النقدية إلى تحليل لوكاش للتشيؤ في دراسته النقدية لوضع الإنسان في المجتمعات المتقدمة تكنولوجيا في ظل التحكم الشامل للعقل الأداة على مختلف مناحي الحياة الإنسانية، وخاصة حينما ارتبط بمختلف أشكال السيطرة الشاملة التي تتم على الطبيعة وعلى الإنسان أيضا. والتي أدت في نهاية المطاف إلى تشيؤ كلي

يعد الفيلسوف المجري غيورغ لوكاش^(١) Georges Lukács أول من بحث في موضوع التشيؤ La réification في الفكر الفلسفي الماركسي المعاصر. وقد أفرد لهذا الموضوع فصلا كاملا (حوالي ثمانين صفحة) في كتابه الهام التاريخ والوعي الطبقي، الذي صدر عام ١٩٢٣. وقلد عدد هذا الكتاب - كما يعتقد أغلب الباحثين المتخصصين في فلسفة لوكاش - مساره الفكري برتمته وانعكس بشكل كبير على أعماله الفلسفية التي امتدت حوالي نصف قرن من الزمن.

ومن المؤكد أن النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت مدينة بالكثير إلى كتاب لوكاش التاريخ والوعي الطبقي، الذي شغل حيزا مهما وأساسيا في أعمالها النقدية، وهذا منذ نشأتها في العشرينيات

من غيورغ لوكاش إلى أكسل هونيث نحو إعادة بناء مفهوم التشيؤ، المجلد الثاني، العدد ٤، أكتوبر

٢٠١٣، ص ٧٩ - ٩٠.

وخاصة بعد بروز ظاهرة العولمة في أفق الحياة الإنسانية في بداية القرن الحادي والعشرين. وقبل أن نتناول بالبحث تحليل هونيث للتشيؤ كان من اللازم التطرق إلى تحليل موقف لوكاش، ولو بشيء من الإيجاز، بوصفه أول من حدد مضامينه من الناحية الفلسفية.

مفهوم التشيؤ عند غيورغ لوكاش:

لقد استند غيورغ لوكاش في تحليله لظاهرة التشيؤ في المجتمع الرأسمالي، في كتابه الهام التاريخ والوعي الطبقي، في العشرينيات من القرن الماضي، على تحليل ماركس الاقتصادية حول السلعة من حيث هي نتاج للعمل الإنساني. ويعتقد لوكاش أنه رغم أن السلعة مرتبطة بهذا العمل فإنها تنفصل عنه، بحيث يبدو العمل في آخر المطاف في صورة شيء جامد ومستقل عن العالم الإنساني. انطلاقاً من هذا يمكن القول بأن التشيؤ عند لوكاش يعني استقلال الأشياء الجامدة عن هذا العالم الإنساني الذي تنتج فيه هذه الأشياء نفسها. ضمن هذا السياق يقول لوكاش: "وتنفصل هذه الأشياء عن الإنسان، رغم أن جوهرها مرتبط

أصبح يعيشه الإنسان المعاصر في شتى ميادين الحياة الإنسانية؛ على مستوى النظام الاجتماعي والحياة الاقتصادية والدولة والثقافة والحضارة.

والحال أنه لم يكن من الممكن أن يتعمق مفكر ومدرسة فرانكفورت في تحاليلهم الفلسفية والنقدية لولا استنادهم إلى مفهوم التشيؤ عند لوكاش. وعلى الرغم من أن المسافة الزمنية التي تفصل بيننا وبين صدور التاريخ والوعي الطبقي كبيرة (١٩٢٣) فلا يزال هذا الكتاب الهام يثير نقاشاً واسعاً في الأوساط الفكرية والفلسفية الحالية، وخاصة لدى ممثل الجيل الثالث لمدرسة فرانكفورت أكسل هونيث^(٢) Axel Honneth، الذي صدر له عام ٢٠٠٥ كتاب التشيؤ: بحث موجز في النظرية النقدية.

هذا، وتيقيناً اهتمام أكسل هونيث، في السنوات القليلة الأخيرة، بمفهوم التشيؤ قصد توظيفه في تشخيص أزمت "أمراض" Les pathologies المجتمعات المعاصرة، وهذا إثر للحوالات الجذرية والتغيرات البنوية التي عرفتتها هذه المجتمعات في السنوات الأخيرة،

وهذا يعني أنّ التشيؤحوّل العلاقات الإنسانية - في ظل هيمنة النظام الاقتصادي الرأسمالي - إلى أشياء جامدة وخاضعة لمنطق التبادل التجاري، بالصورة التي تحوّل فيها البشر إلى "سلع" أو "بضائع"، بحيث يخضعون لقوى وأشياء خارجة عن إرادتهم. ويظهر العالم الاجتماعي (الإنساني) على هيئة عالم من الأشياء، شأن العالم الطبيعي الأصلي، بحيث ويبدو كأنه مستقل عن الفعل الإنساني، شأنه في ذلك شأن استقلال قوانين الطبيعة عن ظواهرها. وبذلك، فإنّ هذا العالم الاجتماعي يظهر لنا كما لو أنه لم يعد بمقدورنا أن نغيره. وهذا الوضع ليس وضعاً "ظاهرياً" وحسب؛ فالعمليات الداخلية في تشكيل صنمية السلعة *Le fétichisme de la marchandise* والتشيؤتخلق بُنى اجتماعية خارجية يصبح بنو البشر دمي لها^(٥).

غير أنّ التشيؤ - بحسب لوكاش - لا يؤثر على الإنسان كذات فقط وإنما يؤثر أيضاً في شبكة العلاقات الاجتماعية برمتها وفي كل مجالات الحياة الإنسانية، لأنّ البنية التجارية تثير الإنسان ضد نفسه من

بعمل الإنسان، فتنعكس القضية الأصلية، فبدلاً من أن يتحكم الإنسان في الأشياء المحيطة به مثل المصانع، والبنوك، تتغير هذه الأشياء، وتتحكم في حياة البشر، وبدلاً مما كان يفعله الإنسان في العصور القديمة حيث كان يحاول تعديل الطبيعة من حوله لتتفق مع حاجاته، أصبح الإنسان يحاول أن يوائم نفسه مع الأشياء المحيطة به، ومن ثم أصبحت الأشياء هي التي تصوغ حياة الإنسان وليس العكس، كما كان سائداً^(٣).

لقد اشتق لوكاش ظاهرة التشيؤ من تعميم البنية التجارية السائدة في المجتمعات الرأسمالية، حيث نتج عن ذلك - بحسب لوكاش - استبعاد الطابع الإنساني عن العلاقات بين البشر لصالح تشيؤ شامل ومتزايد. يقول غيورغ لوكاش: "إنّ جوهر البنية التجارية غالباً ما دلل عليه؛ إنه يركز على واقع أنّ رباطاً أو صلة بين الأشخاص يأخذ طابع شيء. وبهذه الصيغة، طابع "موضوعية وهمية" *Objectivité illusoire* في نظام قوانينها الخاص، الصارم والمغلق تماماً، والعقلاني بالظاهر، تخفي كل أثر لجوهرها الأساسي: الصلة بين الناس^(٤).

الرأسمالي عن طريق العمل؛ إذ إنّ التوسع التدريجي للعقلنة على هذا المستوى هو الذي أدى إلى تحقيق الفاعلية الاقتصادية و بروز النموذج الاقتصادي المركب الذي أدى إلى تلاشي أشكال وبنيات الحياة الاقتصادية التقليدية أو ما قبل الحديثة. غير أنه، وفي الوقت نفسه، وكتيجة لعقلنة سير العمل، أصبحت خصائص العامل الإنسانية تبدو أكثر فأكثر كمنايع خلالات بسيطة تجاه العمل، المحسوب عقلا نيا مسبقا، لهذه القوانين الجزئية المجردة إنّ الإنسان لا يبدو، لا موضوعيا، ولا في سلوكه تجاه سير العمل، كالحامل الحقيقي لهذا السير، إنه مجسد كجزء آلي يجده أمامه، مكتملا ويعمل باستقلالية كاملة بالنسبة له، وعليه أن يخضع لقوانينه إنّ هذا الخضوع يزداد أيضا بواقع أنه على قدر ما تنمو عقلنة وميكنة سير العمل، يخسر نشاط العامل طابع نشاطه ليصبح موقفا تأمليا إنّ الموقف التأملي تجاه سير مطابق آليا للقوانين ويجري بالاستقلال عن الوعي وبدون التأثير الممكن لنشاط بشري، والذي، بصيغة أخرى، يظهر كنظام مكتمل ومغلق، يحول أيضا المقولات الأساسية لموقف الناس المباشر

خلال الوهم بالفاعلية المتعلقة بمفهوم العمل نفسه، من حيث إنه يصبح ضمن هذه الظروف مستقلا بقوانينه "كشيء موضوعي مستقل عنه ويسيطر عليه بقوانين خاصة، غريبة عن الإنسان. وإنّ هذا يحدث كما على الصعيد الموضوعي كذلك على الصعيد الذاتي. موضوعيا، يظهر عالم أشياء مكتملة وصلات بين أشياء (عالم السلع وحركتها في السوق) وإنّ قوانينه، ما من شك، التي يتعرف الناس إليها هي، حتى في هذه الحالة، مناهضة لهم كقوى لا تغلب محدثة كل تأثيرها من ذاتها"^(٦) إنّ معرفتها يمكن إذن أن تستخدم من الفرد لمصلحته، بدون أن يعطى له، حتى آنئذ، أن يمارس بنشاطه تأثيرا مغيرا على سيرها الحقيقي. وذاتيا، فإنّ نشاط الإنسان، في اقتصاد تجاري مكتمل، يتموضع بالنسبة له، ويصبح سلعة خاضعة للموضوعية، غريبة عن الناس، وقوانين اجتماعية طبيعية، وعليه أن يتمم حركاته باستقلال عن الناس مثل أي مال معد لإشباع حاجات وقد بات شيئا تجاريا"^(٧). وخاصة في ظل العقلنة التي عدّها ماكس فيبر Max Weber في بداية القرن الماضي في تسارع نحو النظام

تجاه العالم"^(٨). جدير بالذكر أن استناد لوكاش على فيبر قد ألقى الضوء على البعد الذاتي في سيوروات اقتصر كارل ماركس على وصفها من حيث الحركة الموضوعية التي تميّز الأسواق الرأسمالية. فلوكاش لا يني يتكلم على كل من أبعاد المجتمع الموضوعية والذاتية، وهذا البعد الزائد، غير الماركسي. هكذا لم يعد التشيؤ مقتصرا على كونه سيوروة من "إسباغ الشيئية"، ومن الحساب الضروري للسيطرة على تلك "الأشياء" فهو أيضا سيوروة تبلغ قلب الوعي ذاته، حتى إننا نتعلم في النهاية أن نشيؤ أنفسنا^(٩).

وإذا كان التشيؤ - بحسب لوكاش - ظاهرة يعيشها البشر ضمن الشروط الاقتصادية والاجتماعية التي ميزت الرأسمالية المعاصرة، فإن تجاوزها عمليا يكون بواسطة البروليتاريا باعتبارها الذات التاريخية التي تحمل - بحكم وضعها البائس - إمكانية رفض الواقع اللإنساني المُشيئ Réifié الذي يمثله النظام الرأسمالي القائم؛ بحيث تستطيع هذه الطبقة، في إطار النظرية الماركسية، أن تتحرر عبر تغيير البنية المشيئة للمجتمع

La structure réifiante de

ضمن هذا السياق يقول لوكاش: "إن التطور الاقتصادي الموضوعي لم يكن ليتمكن إلا أن يخلق وضع البروليتاريا في سير الإنتاج، الوضع الذي حدّد وجهة نظرها؛ ولم يكن ليتمكن إلا أن يضع بين أيدي البروليتاريا إمكانية وضرورة تحويل المجتمع. على أن هذا التحويل ذاته لا يمكن أن يكون سوى العمل الحر للبروليتاريا ذاتها"^(١٠). غير أن هذا التحويل - كما يعتقد لوكاش - ليس صوريا محضا؛ لأن تحقيق إمكانية تغيير الواقع المشيئ تتضمن التغيير الموضوعي للمجتمع القائم وتجاوز الوضع الإنساني المشيئ عن طريق الثورة. ولا يجب أن ننسى مع ذلك أبدا - كما يقول لوكاش - أن وعي طبقة البروليتاريا وحده، وقد أصبح وعيا عمليا يمتلك هذه المهمة أو الوظيفة المحوِّلة. ووحدها هي الطبقة التي يمكن أن تكون عملية لأن "البروليتاريا ذاتها ليست أهلا لمثل هذا التجاوز للتشيؤ إلا إذا كان لها موقف عملي واقعية. وإنه من جوهر هذا السير بأن لا يكون عملا وحيدا لتجاوز كل صيغ التشيؤ"^(١١).

وإذا كان التشيؤ - بحسب لوكاش - ظاهرة يعيشها البشر ضمن الشروط الاقتصادية والاجتماعية التي ميزت الرأسمالية المعاصرة، فإن تجاوزها عمليا يكون بواسطة البروليتاريا باعتبارها الذات التاريخية التي تحمل - بحكم وضعها البائس - إمكانية رفض الواقع اللإنساني المُشيئ Réifié الذي يمثله النظام الرأسمالي القائم؛ بحيث تستطيع هذه الطبقة، في إطار النظرية الماركسية، أن تتحرر عبر تغيير البنية المشيئة للمجتمع

وإذا كان التشيؤ - بحسب لوكاش - ظاهرة يعيشها البشر ضمن الشروط الاقتصادية والاجتماعية التي ميزت الرأسمالية المعاصرة، فإن تجاوزها عمليا يكون بواسطة البروليتاريا باعتبارها الذات التاريخية التي تحمل - بحكم وضعها البائس - إمكانية رفض الواقع اللإنساني المُشيئ Réifié الذي يمثله النظام الرأسمالي القائم؛ بحيث تستطيع هذه الطبقة، في إطار النظرية الماركسية، أن تتحرر عبر تغيير البنية المشيئة للمجتمع

خلال إعادة النظر في الطابع الميكانيكي للعلاقة الموجودة بين القاعدة المادية أو الاقتصادية (البنية التحتية) ومختلف أشكال الوعي (البنية الفوقية)، والبحث عن أبعاد جديدة أو أشكال أخرى للتشيؤ. ضمن هذا السياق يرى هونيث أن هناك مؤشرات تدفعنا إلى القول بإمكانية إعادة تحين مفهوم التشيؤ في السنوات الأخيرة، قصد تشخيص أمراض وأزمات المجتمعات المعاصرة؛ وهذا ما يظهر على المستويات التالية:

أ- المستوى الفني والأدبي: حيث نلاحظ أن العديد من الروايات والقصص قد حاولت معالجة كيفية نفاذ القيم الاقتصادية السائدة إلى حياتنا اليومية عن طريق نوع من العبق الجمالي *Aura esthétique*، وهذا من خلال استخدام بعض الأساليب والمفردات. وقد اقترح أصحاب هذه الأعمال الأدبية رؤية العالم الاجتماعي بالصورة التي يعامل أولئك الذين يعيشون فيه أنفسهم والغير، كموضوعات "ميتة" وخالية من كل إحساس، بحيث لا يظهرون فيه أي استعداد ليكونوا ذلك الشخص الآخر. وهذا ما نجده لدى بعض الكتاب

أكسل هونيث: نحو قراءة جديدة لمفهوم التشيؤ

يعتبر أكسل هونيث واحدا من أهم رواد النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت. كذلك يعدّ اليوم ممثل الجيل الثالث لهذه المدرسة، وذلك بسبب صياغته لبناء فكري متميز وتأسيس نظرية الاعتراف، وهذا قصد إعادة بناء النظرية النقدية وتحيينها، وحتى تواكب التحولات التاريخية والأحداث الفكرية والسياسية والاجتماعية التي عرفها العالم المعاصر. لذلك عمل على إخضاع هذه النظرية للتعديل قصد إعادة صياغتها من جديد.

هذا، وقد عمل أكسل هونيث، من خلال مقارنته مفهوم التشيؤ على تجاوز التفسير الأحادي الذي قدمه لوكاش لهذا المفهوم قصد تشخيص الأزمات أو الأمراض الاجتماعية البنيوية السائدة في المجتمعات الرأسمالية؛ حيث يرى لوكاش أن تعميم النموذج الإنتاجي والتجاري للاقتصاد الرأسمالي هو لسبب الرئيسي الذي يمكن بالتفسير لنا نشأة ظاهرة التشيؤ على المستوى الاجتماعي. وهذا ما دفع هونيث إلى نقد المقاربة اللوكاشية من

الإيتيقا والفلسفة الأخلاقية - تلك المحاولات التي تهدف من الناحية النظرية إلى فهم الظواهر التي سبق وأن تناوها لوكاش في دراسته للتشيؤ، ولذلك أصبح هذا المفهوم يُستعمل اليوم بصورة واضحة، ولكن من دون الإحالة إلى النص الذي تبلور فيه في أول الأمر. ولهذا نجد أن مارتا نوسباوم (Martha Nussbaum) مثلا قد أطلقت كلمة تشيؤ" على تلك الأشكال القصوى للتعامل الأداتي مع الأشخاص الآخرين. أما إليزابيث أندرسون (Elisabeth Anderson)، وعلى الرغم من أنها امتنعت عن استعمال مفهوم "التشيؤ" فقد تطرقت إلى تحليل الظواهر المماثلة له كالاغتراب الاقتصادي السائد في حياتنا المعاصرة. ضمن هذا السياق الأخلاقي يمكننا القول بأن الأمر ههنا متعلق بالتشيؤ بمعناه المعياري حتما، بحيث يتم تعيين السلوك الإنساني الذي تُنتهك فيه المبادئ الأخلاقية (الاييقية)؛ وهذا حينما يتم معاملة الذوات الأخرى بغض النظر عن صفاتها وخصائصها الإنسانية، كموضوعات خالية من كل حساسية أو حياة، أي باعتباره مجرد "أشياء" أو

الأمريكيين من أمثال ريمون كارفر Raymond Carver وهارولود برودكيه Harold Brodkey، وحتى لدى بعض الكتاب الألمان، كألفريد يلينيك Alfred Jelinek وزيلكيه شويرمان Scheuermann Silke، مروراً بأحد أقطاب الأدب الفرنسي المعاصر ميشيل هوليك^(١٢) Michel Houellebecq.

ب- المستوى السوسيولوجي: الملاحظ - كما يرى هونيث - أننا نجد في مجال علم الاجتماع الثقافي وعلم النفس الاجتماعي الكثير من الدراسات التي تؤكد أن الذوات أصبحت تميل أكثر فأكثر إلى إظهار بعض المشاعر والرغبات، ولكن بصورة انتهازية إلى حد التظاهر بمعايشتها فعليا، وكأن الأمر متعلق بعناصر حقيقية من شخصيتهم إن هذا الشكل من التضليل الذاتي المتسم بالطابع العاطفي قد فهمه لوكاش جيدا عندما اعتقد بأن الصحافة هي بمثابة "تعهير" للتجارب المعيشة و"للقتاعات" التي تمثل في رأيه قمة التشيؤ الاجتماعي^(١٣).

ج- على المستوى الأخلاقي (أو الإييقية): لقد تضاعفت اليوم - في مجال

التشيؤ قصد وصف اختراق المبادئ الأخلاقية نفسها. وبمأن دراسة فيزيولوجية الجهاز العصبي للإنسان لا تأخذ - بحسب الظاهر - بعين الاعتبار مميزاته أو خصائصه الشخصية، فقد اعتبر ذلك شكلا من أشكال "التشيؤ"^(١٥).

وإذا كان لوكاش قد ذهب إلى القول بإمكانية وضع حد للتشيؤ الذي يعانیه الإنسان المعاصر في المجتمعات الرأسمالية، اعتمادا على القوة المؤهلة لذلك، أي الطبقة البروليتارية التي تملك الأدوات الثورية لوضع حد للتشيؤ، فإن أكسل هونيث يذهب إلى ما يخالف ذلك تماما، بحيث يرى ضرورة البحث عن مضامين التشيؤ أولا، وذلك بعمق أكثر وعدم الاكتفاء بتحليل للتشيؤ، وهذا يرجع أساسا إلى الأوضاع المستحدثة والجديدة التي عرفتها المجتمعات المعاصرة. كيف عمل المجتمع الصناعي المتقدم على دمج قوى التغيير المتمثلة في الطبقة العاملة (البروليتاريا) في المؤسسات القائمة واستقطبتها نحو الاستهلاك فتحوّلت إلى أداة لإبقاء المجتمع القائم واستقراره، ففقدت طابعها الثوري ولم تعد في ظل هذه الشروط

"بضائع". أما الظواهر الإمبريقية التي تستند إليها هذه التعريفات، فهي في حقيقة الأمر مطابقة لمختلف النزعات التي تبدأ بالطلبات المتزايدة للأهات الحوامل إلى الحد الذي يتم فيه إضفاء الطابع السلعي على علاقات المحبة، وإلى غاية لتطور المذهل لصناعة الجنس^(١٤).

د- على مستوى الأبحاث المتخصصة في فيزيولوجيا الدماغ وبتأثيراتها الاجتماعية تليذين^{١٦} في خضم المناقشات الجارية اليوم في هذا المجال أن المقاربة الطبيعية المحضة تعكس في حقيقة الأمر موقفًا شديداً من طرف الباحث نفسه، وفي ضوء ذلك، علينا أن نتساءل: ألا يمكن القول بأن هذا التفسير المتعلق بالمؤثرات وللأفعال الإنسانية الخاصة بتحليل الترابط بين الخلايا العصبية في الدماغ مجرد تفسير لا يأخذ بعين الاعتبار جملة المعارف المكتسبة من التجربة العادية؟ ثم ألا يمكن القول أيضا أنه يتم اليوم دراسة الإنسان وكأنه جهاز آلي خال من التجربة، أي كشيء إذا صح القول.

لذلك، وعلى غرار ما يحدث أثناء الإجراء الإيتيقي، يتم الاستناد إلى مفهوم

و"الشيئية" على جميع الظواهر التي يمكن أن تعتبر للذات^{١٦} عوامل اقتصادية نافعة ضمن محيطها أو في نفسها، سواء تعلق الأمر بالموضوعات أو بالأشخاص أو الكفاءات والمشاعر الخاصة بالذات، بحيث إنَّ الكل يتحوَّل إلى شيء، أو يصبح موضوعاً بمجرد ما يتم إدراك هذه العناصر من خلال ما تقدمه من نفع فيما يخص الصفقات الاقتصادية والمعاملات^(١٦).

والحقيقة أنَّ أكسل هونيث كان حريصاً على تجاوز التفسير الأحادي والوصفي الذي قدمه لوكاش لمفهوم التشيؤ قصد تشخيص الأزمات أو الأمراض (Pathologies) الاجتماعية البنيوية السائدة في المجتمعات الرأسمالية. لذلك يرى لوكاش أنَّ تعميم النموذج الإنتاجي والتجاري للاقتصاد الرأسمالي هو لسبب^{١٧} الرئيسي الذي يمكن التفسير لنا نشأة ظاهرة التشيؤ على المستوى الاجتماعي. وهذا ما دفع هونيث إلى نقد المقاربة الكليانية للوكاش من خلال إعادة النظر في الطابع الميكانيكي للعلاقة الموجودة بين القاعدة المادية أو الاقتصادية (البنية التحتية) ومختلف أشكال الوعي

الطبقة المؤهلة لتغيير الوضع القائم وفي القضاء على ما هو سائد، بل على العكس من ذلك، انحرفت عن مسارها الحقيقي الذي بشر به ماركس من قبل.

إنَّ تحليل لوكاش لظاهرة التشيؤ - بحسب هونيث - لم يعد اليوم كافياً للوصول إلى فهم دقيقة للوقائع التي فهمها في كثير من الأحيان بصورة سليمة من الناحية الفينومولوجية. لفتت لك لوكاش كثيراً بالمعنى السائد لمفهوم "التشيؤ" - وهو فهم ذو طابع أنطولوجي - وهذا كان استناداً إلى ماركس. لذلك أكد في افتتاحية كتابه التاريخ والوعي الطبقي بأنه "التشيؤ" لا يعني شيئاً آخر سوى تلك العلاقة الموجودة بين الأشخاص والتي أخذت طابعاً شيئياً.

هذا، وقد أبدى هونيث رأيه في أطروحة لوكاش، حيث أشار إلى أنها أحادية البعد أي يغلب عليها الطابع الاقتصادي، وبالتالي لم يستطع لوكاش توسيع هذا المفهوم إلى المستويات التي أشرنا إليها سابقاً (الفنية، الأخلاقية، إلخ). لقد طبق لوكاش مفهوم "الشيء"

نقده لمفهوم التشيؤ، في مختلف أنماطه أو أشكاله الأنطولوجية، فقد كان مهتما بإبراز أن مفهوم "العناية" قد يكشف لنا شكل العلاقة العملية مع العالم ومع الآخرين، التي تتميز نمط الوجود الإنساني وفق بنيته الأنطولوجية الخاصة. ومن جهته، لم يتوقف جون ديوي، عن تأكيد أهمية التفاعل الإيجابي مع البيئة التي تحيط بنا، ومع الغير قصد الخروج من نزعة التمرکز حول الذات.

وبناء على ذلك، أكد هونيث، من خلال مقارنته الفلسفية لأفكار هؤلاء الفلاسفة الثلاثة، دور الاعتراف في تجاوز مختلف أشكال التشيؤ السائدة اليوم في عالمنا المعاصر، وهذا بتوظيفه للأعمال الميدانية السوسولوجية والسيكولوجية لكل من جان بياجى وجورج هيربرت ميد ودونالد وينيكوت وسيغموند فرويد، والدراسات الأخلاقية التي قدمتها مارتا نوسباوم إليزابيث أندرسون حول انتهاك المبادئ الأخلاقية (الايثيقية)؛ وهذا حينما يتم معاملة الذوات بشكل أداتي وبغض النظر عن صفاتها وخصائصها الإنسانية، وكموضوعات خالية من كل

(البنية الفوقية)، والبحث عن أبعاد جديدة أو أشكال أخرى للتشيؤ، وهي في رأيه تتحدّد على النحو التالي: التشيؤ الذاتي (العلاقة مع الذات)، التشيؤ الموضوعي (العلاقة مع العالم)، التشيؤ التداوتي (العلاقة مع الآخرين)، وهذا ضمن رؤى أنطولوجية واجتماعية وأخلاقية. لذلك استند هونيث في مقارنته النقدية لمقولة التشيؤ إلى تحاليل كل من مارتن هيدغر وجون ديوي قصد استخلاص فهم أعمق لهذه المقولة التي أخذت اليوم صورا وأشكالا جديدة، وهذا في مختلف مجالات الحياة الإنسانية، وخاصة بعد تفشي الطابع الأداتي الذي طغى أكثر فأكثر على مختلف ميادين الحياة المعاصرة^(١٧).

لقليل " هونيث بأن أعمال هؤلاء الفلاسفة الكبار (لوكاش، هيدغر، ديوي) كان غرضها الأساسي إثبات أهمية الاعتراف على صعيد بنية العلاقات الإنسانية، وبذ طابع الانغلاق على الذات أو التمرکز حولها، لذلك يتوقف تجاوز ظاهرة التشيؤ من وجهة نظر لوكاش على شكل من التفاعل الإنساني الذي يسعى إلى تغيير العالم. أما هيدغر، وفي سياق

الروح والأشكال ١٩١١ ، نظرية
الرواية ١٩١٦ ، التاريخ والوعي
الطبيقي ١٩٢٣ ، لينين ١٩٢٤ ، الطريق
نحو ماركس ١٩٣٣ ، هيغل الشاب
١٩٤٨ ، وجودية أم ماركسية ١٩٤٨ ،
بلزاك والواقعية الفرنسية ١٩٥٣ ،
تخطيم العقل ١٩٥٤ . هذا، وقد توفي
لوكاش عام ١٩٧١ .

٢- ولد الفيلسوف الألماني أكسل هونيث
في مدينة إيسن بألمانيا عام ١٩٤٩ ،
درس الفلسفة وعلم الاجتماع في بون
ثم واصل دراساته الأكاديمية في
جامعة برلين، وبعد ذلك التحق بمعهد
ماكس بلانك، واستقر في الأخير
بجامعة غوته بمدينة فرانكفورت
لتدريس الفلسفة الاجتماعية. كان في
بداية حياته الفكرية متأثراً بأستاذه
يورغن هابرماس ثم عمل على
تأسيس فلسفة اجتماعية جديدة تقوم
على ما يسميه أكسل هونيث "براديجم
الاعتراف". فأصبحت له شهرة عالمية
واسعة في البلدان الغربية، وخاصة في
الولايات المتحدة و كندا. وقد تُرجمت
أهم أعمال هونيث إلى اللغات
الإنجليزية والفرنسية والإيطالية،

حساسية أو حياة، أي كـ "أشياء" أو
"بضائع". والأعمال الأدبية لكل من
ميشيل هولبيك وريمون كارفر وهارولد
برودكيه وألفريد يلينيك^(١٨) لقد
استطاعت هذه الأعمال أن تبين على
المستوى الأدبي والفني كيف أصبح
البشر- في ظل التشيؤ - يعاملون
كموضوعات "ميتة" وخالية من كل
إحساس وعاطفة وصورة غير إنسانية.

=====

الهوامش

١- ولد غيورغ لوكاش في مدينة بودابست
بالمجر عام ١٨٨٥ . درس الفلسفة
وعلم الاجتماع على يدي غيورغ زيمل
ببرلين وماكس فير بهيدلبرغ، وفي عام
١٩١٨ انخرط في الحزب الشيوعي
المجري، ثم عمل في معهد ماركس-
انغلز في موسكو وأصبح عضواً في
أكاديمية العلوم السوفيتية. وفي عام
١٩١٩ تم تعيينه أستاذاً للفلسفة وعلم
الجمال بمدينة بودابست ثم وزيرا
للثقافة في حكومة بيلا كون
الاشتراكية. لوكاش مؤلفات كثيرة في
المجالات الفلسفية والجمالية منها:

- ١٠- غيورغ لوكاش، التاريخ والوعي الطبقي، ص ١٨١.
- ١١- المصدر السابق، التاريخ والوعي الطبقي، ص ١٧٩.
- 12- Axel Honneth, *La réification. Petit traité de théorie critique*, traduit par Stéphane Haber, Paris, Gallimard, 2005, p 15.
- 13- Ibid., p . ١٦
- 14- Ibid, p. 17. *Petit traité de théorie critique*, p 17.
- 15- Ibid, p. 18.
- 16- Ibid, p. 24.
- 17- Ibid., p. 40.
- 18- Ibid, p. 15.
- ***
- أهمها: نقد القوة ١٩٨٥، الصراع من أجل الاعتراف ١٩٩٢، مجتمع الازدراء. نحو نظرية نقدية جديدة ٢٠٠٢، حول راهنية فلسفة الحق لهيغل ٢٠٠١، التشييؤ. بحث موجز في النظرية النقدية ٢٠٠٥.
- ٣- غيورغ لوكاش، التاريخ والوعي الطبقي، ترجمة حنا الشاعر، بيروت، دار الأندلس، ١٩٧٩ ص ٧٧.
- ٤- المصدر السابق، الطبقي، ص ٧٩.
- ٥- إيان كريب، النظرية الاجتماعية، من بار سومز إلى هابر ماس. ترجمة محمد حسن غلوم، الكويت، عالم المعرفة ١٩٩٩، ص ٣٠٩.
- ٦- غيورغ لوكاش، التاريخ والوعي الطبقي، ص ٨٢.
- ٧- المصدر نفسه، ص ٨٣.
- ٨- المصدر نفسه، ص ٨٤.
- ٩- آلن هو، النظرية النقدية. مدرسة فرانكفورت، ترجمة ثائر ديب، الإسكندرية، المركز القومي للترجمة، ص ١٠٥.